اليهودية في فلسطين لا يمكن أن تخضع لسيطرة الاغلبية العربية ، تماما مثلما يرفض الاهالي البيض الخضوع لسيطرة الزنوج في الولايات المتحدة الجنوبية (تقرير رقم ٣١) .

وقد اتضح هذا التفكير اكثر من مرة ، لعل ابرزها اثناء زيارة اللجنة الصهيونية لمصر وفلسطين اذ عقدت في مصر عدة اجتماعات مع الزعماء السوريين المقيمين في القاهرة، ونفى وايزمان ان في نية الصهيونيين اقامة حكومة يهودية في فلسطين ، وعلى الرغم مما لاحظه بيل من أن الزعماء السوريين سروا لهذا التصريح وصدقوه واعتقدوا ان اليهود يأتون الى فلسطين « بأفكار معقولة » (تقرير رقم ٢٢) الا ان بيل — مع ذلك — كان يعتقد انه ليس من الممكن التوفيق بين هاتين القوتين « فالقومية اليهودية والقومية العربية لا يمكن ان تلتقيا على أرض واحدة تتنازعان عليها وهي فلسطين ، فان المثل الاعلى للصهيونية اقامة دولة يهودية وابتلاع فلسطين وهو أمر لا ترتضيه القومية العربية الوليدة التي ايقظتها واثارتها احداث الحرب » (تقرير رقم ٢٠) . ولعل هذا ما دعا وليام بيل — في تقريره رقم ٣٤ — الى ان يعبر عن اعجابه بحاييم وايزمان ويعتبره شخصية بارزة لانه استطاع أن يفطن الى الاخطار المحدقة به ، « وعلى الرغم من أنه صهيوني قلبا وقالبا الا انه رأى بسياسته ان اظهار الحماس الزائد في الوقت الحاضر سيضر بالقضية الصهيونية اكثر مما يفيدها لانه سيؤدي الى زيادة المعارضة التي يبديها الفلسطينيون » . وبهدي هذه الفكرة واجه وايزمان الزعماء العرب في فلسطين في الخطبة التي القاها عقب حفل الغذاء الرسمي الذي اقامه رونالد ستورز حاكم القدس العسكري في ٢٧ ابريل (نيسان) ١٩١٨ ليعلن لهم أن اليهود « يعودون » الى فلسطين ليقيموا «مرة اخرى» مركزا روحيا وثقافيا ، وهذا في رأيه يتضمن الجانب الاكبر مما تعنيه عبارة الوطن القومي ، وان اقامة هذا المركز لن ينطوي على ضرر لاي من الجماعات الكبرى المقيمة في فلسطين وان المخاوف التي يبديها العرب لا مبرر لها، وانها اما نتيجة سوء فهم العرب لحقيقة اهداف الصهيونية ونواياها واما نتيجة لدعاية اعداء العرب واليهود على السواء (الترك والالمان) ، ونفى وايزمان ان اليهود سوف يستحوذون على السلطة السياسية في فلسطين في نهاية الحرب (تقرير رقم ٢٨) .

وعلى الرغم من كل هذه التصريحات فان الانطباع الذي خرج به بيل من محادثاته مع كثير من الشخصيات الصهيونية ، ونتيجة لما لمسه من نشاط الصهيونيين هو أن كل هؤلاء على اختلاف القوميات التي ينتمون اليها ورغم ما بينهم من اختلاف في الرأي « فانهم جميعا يتطلعون الى الوقت الذي تصبح فيه فلسطين — بجهودهم — قطرا يهوديا خالصا ، ويتحقق حلمهم في اقامة دولة يهودية مستقلة » . « وكلما ازداد المرء اتصالا بالصهيونيين ازداد اعتقاده بوحدة هدفهم ورغبتهم في رؤية الشعب اليهودي يعود للاقامة في فلسطين كدولة مستقلة » ، حتى لقد فطن بيل الى ان الصهيونيين في تصميمهم على الحصول على فلسطين « قد ابدوا استعدادهم للتفاوض مع اية حكومة يكون في مقدورها تحقيق آمالهم اي صار الصهيونيون لا يعملون من أجل البلاد التي ينتمون اليها اصلا » (تقرير رقم ٣٣) .

ونقل بيل الى حكومته تصريحا كان قد ادلى به وايزمان وذكر فيه « ان المرء يسمع ما يتردد من أن الهدف الذي تسعى اليه الحركة الصهيونية هو اقامة دولة يهودية فورا في فلسطين ، واصدقاؤنا في امريكا يزداد تعلقهم بهذه الفكرة حتى لقد رسموا شكل هذه الدولة فطالبوا بجمهورية يهودية ، وعلى الرغم من اننا نحيي من أعماق قلوبنا كل هذه المظاهر المخلصة للارادة اليهودية الا اننا لا نستطيع ان نعتبر انها نابعة من سياسة سليمة حكيمة ، فانه مهما كانت القوة الحقيقية للصهيونية فانه يجب ان يكون واضحا امام كل اولئك الذين يسهمون في أعمال المنظمة ان الاحوال ليست ملائمة بعد من أجل انشاء دولة يهودية . ان الدول يجب ان تبنى ببطء وبالتدريج وبترتيب وصبر ، وعلى ذلك